وأكبر الظن أن العقاد لم يكتب عن مسرحية «قمبيز» إلا باعتبار كتابته هذه جزءاً من حملته العامة العنيفة على شوقى . . وذلك بدليل أننا لم نشهد بعد ذلك ، ولا قبل ذلك ، نقدًا للعقاد لأية مسرحية أخرى .

ومسرحية «قمبيز» تناول فيها شوقى فترة حاسمة فى تاريخ مصر وهى فترة القضاء على استقلالها وسيادتها ، ووقوعها فريسة فى يد الغزاة الأجانب الذين ظلوا يتعاقبون على حكمها منذ أواخر القرن السادس قبل الميلاد حتى نهاية فاروق . ولكن شوقى لم يرجع فى تصوير هذه الفترة إلى التاريخ الحقيقى الذى يفسر غزو الفرس لمصر لأسباب سياسية واقتصادية وعسكرية تتصل اتصالا وثيقًا بالصراع الجبار الذى كان سائدًا عندئذ بين الفرس من جهة ، واليونان وقرطاجنة من جهة أخرى ، وتطلع الفريقين إلى الاستيلاء على مصر لترجيح كفة الصراع - بل آثر أن يستخدم لفنة المسرحى أسطورة رواها المؤرخ اليونانى القديم «هيرودوت» ونقلها عنه بعض المؤرخين المحدثين ، وهى تلك الأسطورة التى تزعم أن «قمبيز» غزا مصر لأنه طلب من فرعونها «أمازيس» أن يزوجه من ابنته . . ولكن «أمازيس» غشه . . فبدلا من أن يزوجه من ابنته «نفريت» زوجه «نيتيتاس» ابنة «أبرياس» الفرعون الذى قتله «أمازيس» واستولى على عرشه ، ثم اكتشف «قمبيز» هذا الغش ، فثارت حفيظته ، وانتقم من فرعون بغزو مصر وسفك دماء أهلها ، ونهب خيراتها وتدمير معابدها وقتل عجل «أبيس» إله المصريين القدماء . وإن تكن نوبات جنون هذا الطاغية السفاح قد أحاطت بما بقى فى رأسه من عقل ، فقتل أيضًا أخاه وأخته فى ساعة جنونية ، بل ولقى حتفه .